غداً نسراً .. وسما

قصة الشهيد الشيخ أحمد يحي أبو ذر رحمه الله تعالى

أمراء النصر والتحرير

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION

غدا نسراً .. وسما

قصة الشهيد الشيخ أحمد يحي أبو ذر رحمه الله عليه

الكاتب: الدكتور بلال نعيم

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام

هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠ ـ ص.ب. ٢٤/٥٣ . ٢٥/٣٢٧

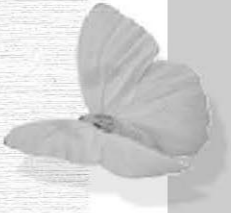

- **قصة الشهيد**: الشيخ أحمد حمد يحي/أبو ذر (رضوان الله عليه).
- **العنـــــــوان**: غدا نسراً وسما..
- **الكـــــاتــب**: الدكتور بلال نعيم.
- من النصوص المشاركة في مسابقة «العلماء الشهداء» التي نظمتها الوحدة الثقافية المركزية في حزب الله ورعتها مؤسسة الشهيد في لبنان.
- **الناشـر**: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.
- **الطبعة**: الاولى حزيران ٢٠٠٣م ـ ربيع الآخر١٤٢٤هـ.

الإهداء

للذي طالما راود خاطره والجنان
وما غفت عينا ابي ذر الا على طيفه..
وما اشتاق الا الى غرّته
في وحشة الطريق وقلة سالكيه..
الى صاحب الزمان وصاحب المجاهدين وأنيسهم
وعضدهم والرفيق..
الى الذين استوحش أبو ذر ممن عداهم
ولم يكن له رفقاء سواهم
فعاش معهم ولهم وبهم وكان لهم سلوى
وله كانوا العزيمة والشكيمة..
الى مجاهدي المقاومة الاسلامية معزي الامة والاوطان
أهدي هذا النص الأدبي المتواضع الذي يحكي
بعضاً من حياة شيخ المقاومين الشيخ أحمد حمد
يحيى (أبو ذر) رحمه الله.

الانطلاقة

.. السماء صافية والشمس سارحةٌ نحو الغروب، لتغفو راكنة في احضان البحر، فتنطفئ شعلتها ويذهب النور كما النار يُذهب وهجها الماء، وها هي ظلال تلك التلال المتراوحة بين الشرق والغرب، وبين العلو والانبساط، بدأت تتلاشى عند مسمّى هضبة هي اشبه بباسق من الشجر بين الشجيرات، تطل برأسها لترى من بعيد، هضبة غافية على الطرف الجنوبي لجبل عامل، يلامسها الريح ثم يودعها باتجاه فلسطين وهي على مسافة خفقة قلب ولمحة عين واشراقة امل، فلسطين التي يلفها السكون من كل جانب، تجلس على صخرة احلام العرب، كالثكلى يعتصرها الالم ويشدها الامل الى بنين من جيل الابطال، ليرفعوا الثكل عنها وعذابات الفراق عن الاهل والاحبة...

وعند ذلك التل وقفت شامخة شموخ قرى عاملة ودساكيرها وحاضراتها تعرّف عنها وعن حضورها تلك البيوت المعدودة والملتفة يحتضن بعضها البعض لتشكل حارة أنسٍ تتبادل الدفء عند ذلك السفح حيث الهواء يعبث بكل شيء دون منازعٍ او رادع. تاركاً في الحنايا البرد والصقيع، ووحوش الغابات المحيطة تفرض على الساكنين التجمع والالتفاف، فمن برودة السفح، ومن

وعورة المكان مع الوحشة تتقارب المسافات بين دور بسيطة الشكل معقدة المحتوى، ففيها حكايات مئات السنين لمن عاشوا ورحلوا وتركوا على الجدران وحجارة الصوان بصماتٍ تقص روايات ملؤها العزة والمجد والسؤدد..

مجموعة البيوت الوادعة، تنبئ عن قرية، عند تلك الهضبة، وتقرأ الاسم عند مدخلها، انها رشاف، بلدة يحملها الجبل على عاتقه فتبدو معه كالمارد يطل على كل اتجاه ويرمق من عليائه عدة نواحٍ في الاتجاهات الاربعة، فالشرق والشمال قرى حبيبة تتشاطر معها التاريخ نفسه وبين رشاف وتلك القرى عدة حكايات بعضها اكله النسيان قد غار مع الزمان كما هو الزمان يغور، والآخر ما زالت شفاه المصطفين عند مصطبات العصر وقبل المغيب تتناولها وكأنها احداث الامس القريب او كأنها في الحاضر وما تزال، والى جهة الغرب العين تراسل البحر بعض قصاصات الاشتياق فهو قريب وبعيد، قريب الى النظر في استرساله، بعيدُ المسافة على الاقدام في محاولة المسير، والجنوب يطل على فلسطين الاسيرة وفي هذا الاتجاه يقف الزمان متساءلاً عن سبب الجفاء بين الاحبة فلطالما زار أهلكِ ايتها البلدة الجنوبية ربوع فلسطين وتنقلوا في احياء عكا وحيفا وتمسحوا باعتاب المسجد الاقصى، وفي طريق العودة

ابتـاعـوا الـزيت من صـفـد القـريبـة ومـروا على بعض الاقارب في القرى السبع، وهناك مقامات لانبياء عظام سلّموا عليهم وادّوا عندهم صلاة العشاء وافلوا راجعين.. وهذي لم تكن حـال رشـاف فـحـسب بل كل القـرى الجنوبيـة المحـتـضنة حـدود فلسطين من السـاحل في الغـرب الى اقـصى الجبال الشـرقـية، أمـا اليـوم فـهناك الحواجـز الاصطناعية ومعها تبدو فلسطين وكأنها على آلاف الاميـال، حـواجـز سمّك جدرانهـا الضعفـاء، وهوّل من امـرها اللاهثـون وراء السـراب، وهي جـدران وهميـة، صُنعت بأيدٍ خـشـبـيـة، اذا سـامـهـا الريح يخـسـفـهـا، او الصواعق تحـرقهـا، فكيف بحناجر المجاهدين اذا صاحت (الله اكبـر) وهـي اقـوى من الريح واعـتى مـن الصـواعق، فعندها سينهدم الجدار وينكسـرالقيـد وتخـرج فلسطين ترفل باذيالها تمسح عن وجـهها غبار السنين لتستقبل الوافـدين مـع كل تعـابيـر الشـوق والحنين، وتـذرف دمعـةً للابتهاج واخرى للاسى ابتهاجاً للقيا الاحبة بعد طول الغيـاب، وأسـىً على ذلك المدى من الزمـان الضـائع الذي حـال بينها وبين الحرية والمحبين...

اجل انهـا فلسطين الى الجنوب تعـيش الاسـر كله، و رشـاف ترمـقهـا وتشـاطرها بعض الاسـر، وبينهـمـا مسـافة يقـطـعـهـا الذئـاب والثـعـالب، مـانعـة من ان تـتـقـابل الحبيبـتـان، تتبـادلان حكايا الانس والحنين مـع الزفـرات

الحرّى، والتنهدات العميقة فهما في حال حصار، مع فارق في المدى وفي الامل، فرشاف املها قريب بان تبعثر كل العوائق وتقتلع الحواجز والسدود، اما فلسطين فالآفاق الرحبة تتباعد امام ناظريها لكن الامل يحدوها ولا يفارق خاطرها والوجدان فهي تعيش وتحيا على أملٍ يكحّل عينيها كل صباح بمرود النور الساطع من جهة الشمال حيث المقاومة وفي مرآها البعيد تطلّع نحو تحرير فلسطين.

ولاجل هاتين الأسيرتين ولد أحمد في أحد البيوت المتواضعة الشامخة في قرية رشاف ومنذ ذلك الحين بدأت قصة من قصص الابطال في بلدي لبنان.. قصة مجاهد بطل وشيخ همام وقائد قدوة ما زالت دروب صافي الوعرة، وصخور عقماتا العاتية، واحياء اللويزة الصامدة، والكثير من الهضاب والتلال والجبال والفجاج تهتف باسمه وتحن اليه وتنعاه، ففي ترابها شيء من عرقه ومن دمه ومن آثار اقدامه الراسخة. وما زال الجميع ينتظره بذلك الوجه النوراني وتلك الطلة المهيبة وذلك الصوت الجهوريّ والنظرة الثاقبة والابتسامة الخافتة، فهو كان وما زال شيخ المقاومة والمقاومين..

الطفولة والنشأة

.. في فجر ذلك اليوم من شباط وعلى مسافة عشر سنوات من نكبة فلسطين والامة، صاح الديك بأعلى الصوت مؤذناً بدنو بزوغ الفجر ولم يقابله سوى الصدى من الوديان فالقرية سكانها قلة والايام شتاء، والانفاس لا تزال مخفورة تحت الاغطية ورذاذ المطر يتناثر كحبات الارز على العشب والزهر المزيّن اطراف البيوت والساحات، وفي ذلك اليوم كان انبلاج فجر آخر للقرية الوادعة، ولادة طير في بيت من بيوتاتها، أطل أحمد ومعه الحلم ان يصبح رجلاً يدافع عن الاهل وسكان القرية الذين ما برحت الثعالب تتناوط على كرومهم وعلى عناقيدهم والارزاق، تتقوّى بالذئاب لتسطو على الخيرات دون حول على المواجهة، وُلد أحمد ثم نشأ على وقع آلام كبيرة مصحوبة بآمال عظيمة، آلام الفقدان للاب على يد الثعالب وآمال اضاء شعلتها حضور ذلك المولود الذي رُسمت على ملامحه معالم يُقرأ فيها المستقبل عزيزاً وشامخاً، وهكذا انطلق الطير مغرداً الى ارجاء الدنيا الرحبة التي ما فتئت الذئاب تعمل على تضييق مساحاتها بفعل نفوسها الشريرة الحرجة التي داست فطرتها فانحرفت وتشوهت..

بين عشية وآخرى، وفجر وما تلاه، الشمس تطلع ثم تغيب ثم تطلع، والايام يتقاذفها الزمان قدماً والطير

يكبر رويداً رويداً، وينبعث معه الفجر وخيوط النور كما الزهر تتفتح براعمه وتكبر وريقاته وتشتد اغصانه والمعالم المسومة على الجبين بنور خافت بدأت بالجلاء لتؤكد حقيقة ذلك الوجه النوراني المختزن للآمال والامنيات، ها هو الطير يكبر ويتعلم في ازقة البلدة وحواكيرها كيف يطير، وها هم أحمد والرفاق يلعبون ويمرحون في احياء القرية الضيقة الواسعة في آن، ضيقة المساحة بالامتار، الواسعة الانفتاح على المستقبل..

ومع التقادم في السنين، وبلوغه الخامسة من العمر بدأ مشوار الدرس الذي يضطر اليه كل طفل يشعر من دون سابق عهد بأنه يُعاقب على جريمة لم يرتكبها سوى بلوغه ذلك السن وهذا ما لا يمتلك ارادة توقيفه او توقفه، فالنفس ما زالت عالقةً بين أهداب الطفولة الناعمة وعيون التحرر السارحة دون مدى لكنه لا مناص من ان يتأبط الطفل الدفاتر وبعض الكتب المستعارة يضعها في محفظة كانت لأخيه عليها رسوم وخربشات ويهرول نحو المدرسة ذات الصفوف المعدودة والمحدودة في كل شيء، حتى في معلميها، وتبدأ مسيرة الاطلاع على الحياة من خلال معرفة الحروف التي تتكون منها مفردات الاسماء للاشياء التي بمجموعها تكوّن هذه الحياة، وسرعان ما نما الريش وقوي الجناح

ويبلغ أحمد العاشرة من عمره، واصبحت تطلعاته تتوسع اتساع القدرة على الطيران والتحليق في تخوم القرية وباتجاه القرى المجاورة، حيث يذهب أحمد مع الرفاق يعبثون بالطبيعة ومحتوياتها، لا يحدّهم في ذلك حد، ولا يقيدون بقيد فيطيرون الى الجبال والسهول والوديان والبساتين يسابقون الزمان والمكان، ويحاولون القفز فوق الواقع واجتياز مراحل تسميهم اطفالاً وتنعتهم بالليونة، ليكتنزوا من الصعوبات الشدة ومن المتاعب القسوة، ومن الرمال والتراب والصخر مفاهيم الارادة والعزم.

ثلاثة اشهر وعدة ايام هي جعبة الصيف وهامش الحرية والانفلات من قيود الدرس والمدرسة، تنقضي بسرعة البرق ليحل الخريف على الطيور حلول الكارثة، فهم مضطرون لهجرة الملاعب والازقة والحواكير لا ليسافروا الى ملاعب جديدة واوطان بعيدة طلباً للدفء والامان وانما للعودة الى مصاحبة الكتاب وملازمة المقعد الخشبي ذي النتوءات الحاكية عن اجيال مرّت ونقشت على الخشب أسماءها وبعض اهوائها وما كان يخطر على البال، وتتكرر التجربة عاماً بعد عام. لكن، هذه المرة وفي سن العاشرة اصبح المطلوب قطع المئات من الامتار للوصول الى المدرسة الاعدادية في القرية المجاورة، ففي رشاف يختتم التعلم عند الخامس

الابتدائي. ويحلق الطيور مرغمين الى تلك القرية مرنمين في الذهاب والمجيء بعض تراتيل الفخار وفيها ملامح الطموح الذي يتغنون به بالرغم من نعومة الاظافر ورهافة الحس وحداثة العهد بالحياة وها هم يتعلمون في مدرستهم كلمات الارادة من اللغة العربية وهم يتصفحون الكتب فتشوا عن تعابير الحرية في كتاب التربية الوطنية وعن عبائر المجد من التاريخ الذي صاغه ابطال لم يجدهم أحمد ورفاقه في السطور التي ملأت ما بين دفتي الكتاب ولا حتى بين السطور انما قرأهم في حكايات كبار السن حيث بطولات الاجداد اضحت مثلاً يغذي العزيمة، ويجعل الطيور تحلم بان تكبر سريعاً او يجعلها تتحدى حركة العمر البطيئة وتعاندها لتكبر في الارادة والعزم قبل ان يطبع العمر المتقدم بصماته عليها في الهياكل والاجساد..

اليفاع والاحلام

اصبح الطير يافعاً تجاوز العقد الاول من عمره باتجاه الخامسة عشرة، والاحلام الوردية الصغيرة تنامت كالعشب على قطرات الطل فانبثّت امام ناظريه جسر عبور الى المستقبل الذي طالما راوده في الصبا، وما زال، حيث الطموح بتحقيق كبريات المنى، ازالة القيود، وضرب الثعالب وطرد الذئاب والثأر لمن باتوا تحت

التراب بفعل العذاب، وللذين ما زالوا يكابدون الاسى في الجنوب وعلى مرمى الحجر منه الى فلسطين السجينة، وفي عينيها بريق خافت تأمل ان يشع برؤيا المجاهدين كأحمد والرفاق الذين راحوا يسابقون الايام ويتحدون الليالي علهم يكبرون قبل الاوان، ويغدون رجالا وهم فتيان، ويقدرون ان يمتشقوا السلاح لا يمنعهم من ذلك ليونة البدن ورقّة العظم وضعف الساعد، ها هي الاحلام ترفرف باجنحتها فوق هام الفتية ترافقهم في كل خطوات الدرب الى المدرسة وفي العودة الى المنزل، وفي الحقول والتلال، وعند الزرع للغلال والغرس للاشجار وعند اقتلاع المواسم وجنى الغلال وعند الاصطياد للعصافير الصغيرة في براري العشب وعلى اغصان الشجر وبين سنبلات القمح، وفي الالعاب الصيفية على الطرقات الممتدة هنا وهناك يلعبون بالطابة يكسرون بها بعض نوافذ الجيران ويهربون، وفي الالعاب الشتوية تحت الشرفات او في بعض الخربات وفي الرحلات والمغامرات نحو المغاور والكهوف ينتظرون ساعة الصحو للعودة الى المنازل ينزعون ثياباً مبللة ويصطفون حول المدافئ يطردون الصقيع من الاجساد، وفي الليالي حيث يذهبون متسللين الى جانب جدران البيوت المتلاصقة باتجاه المسجد يلتقون فيه ليجمعوا ما تناثر من افكار تبعثرت بفعل اللهو على مدى النهار، وعندما يعودون

الى المنزل يسامرون الظلام وقنديل الزيت وبعضاً من القطط الجاثية عند العتبة تحاول الدخول كرات وكرات دون جدوى، وبعضاً من نباح الكلاب في الحواكير وهي تبحث عن مأوى لها في الليل القارس،وهم ممددون يمسكون باطراف الاغطية يشدونها بقوة كي لا تزيح عنهم فيباغتهم البرد، وفي هذي الحال ينصتون الى حكايات الجد او الجدة وفيها من الحقيقة والخيال ما يجذب الاسماع التي تأخذ النفس في رحلة النعاس التدريجي وشيئاً فشيئاً يغفو الفتى ثم يستيقظ عند الصباح ليبدأ يوم جديد يتكرر كسالفيه في جملة الاحداث من الصباح الى العشية..

مرت المرحلة وفيها الكثير من اللهو والجد، لهو الطفولة، وجدية الاحلام العظيمة، وبدأت مرحلة اخرى ألقت فيها الطيور خلف اظهرها مواضيع اللهو بالرغم من حداثة السن، وحملت معها وبقوة كل اسباب العنفوان المشحونة بالخيالات والطموحات المقذوفة الى البعيد بأيد ضعيفة تساعدها ارادة مشحوذة بالهمم العالية وشوق الوصول الى الغايات البعيدة، ومع انقضاء اليفاع وجد الطيور أنفسهم أمام منعطف من الحياة يحدوهم الأمل ان يجتازوه بفائق سرعة ليشارفوا على الشباب الذي توقد في اعينهم امجاداً صبوا اليها خلال سنوات العمر كانت الى جانبهم آمالاً تصاحبهم كالظلال

والاطيـاف وطّنوا انفـسـهم مـن اجل الوصـول اليـهـا على صناعة المعاجز ومعاندة المستحيل واقتلاع ما يعيق..

ويدأت ترفـرف الخـيـالات فـوق رؤوس الطيـور كـالغـمـام تذهـب وتجيء، الخـيـارات كلهـا مـطـروحـة، لكن مـن اين البـدء، ومـا هـي اسـرع الخطـى نحـو تحـقـيق الأهداف، المبـادرة مطلوبة، لكن غـمـوض الموقف يحـتـاج الى تريّث، هنـا الامـر لم يـعـد مـجـرد حلم يتـغنى به الطفل في لحظات يقظتـه او نومـه، ولم يـعـد وهمـاً يداعب بعض لحظات الخيـال ثم ما تلبث معاودة الفكر لتطـرد الخيال ويعود الذهن الشارد الى الواقع. الامر اصبح استحقـاقاً، ولا بد من الاستعداد، الطريق الذي بدا قصيراً يبدو الآن اكـثـر بـعـداً وأطول ممـا كـان يُظـن، والاحـلام الوردية التي كانت تلغي الصعـاب تلاشت واصبـح الطيـور امـام المهـمـة ولا بد من النجاح.

استـيقـظ أحـمـد ذات صبـاح، مـسـح عـينيـه بالماء البـارد اذهـب به النـعـاس والكسل ومـعـهـمـا غـشـاوة النـوم وثقله، وادرك بان عليه عدة خطوات التـفـافيـة تفرضها الوقـائع قبـل ان يعود للانـتـقام من الاعـداء، المهم ان يبقى الهـدف هو الهـدف والمسـار كـذلك، ليس في الابـتـعـاد اشكال، المهم قـرار العودة، وان يتـذكر أحـمـد ان عـليـه مـهـمـا طـال الزمن وتبدلت الظروف والاحـوال ان يعود فـارسـاً على جواد والى جـانبـه آخـرون من اخـوانه الفـرسـان ليـحـرر البـلـدة على

طريق تحرير الجنوب وبعد ذلك فلسطين، ولكن الظروف تفرض نفسها في هذه الايام الدامسة والحالكة، حلوك الامة في واقعها المرير، تعيش حالة التشرذم والانقسام مما اطمع فيها عدوٌ هزيل، فالحاجة تبدو ملحّة الى قيام يفرض على الامة النهوض وعلى شبابها الصحوة وعلى حلوكها الانقشاع وعلى عتمتها الانكشاف، وعلى العدو الانسحاب والهزيمة، وذلك كله يستدعي التدبر والحكمة وحسن الاستعداد، فطوى أحمد سحائب واطيافاً من الاحلام التي كانت تراوده وصاغ منها مشروعاً عملياً ومنذ ذلك الحين قرر العمل وبدأ بالتنفيذ..

الشباب والهجرة من البلدة

أصبح الطير شاباً، ضاقت به آفاق القرية ومدرستها المحدودة الصفوف، وكذلك المحيط، ففي قريته ابتدائية وأقصى المحيط بعض الاعداديات وقد تخطى هذه المرحلة أي المتوسط، وللمرحلة الثانوية لا بد ان يتنقل يومياً قاطعاً عدة قرى لينال شرف الدراسة في احدى الثانويات، والا فعليه ان يترك القرية تماماً ليؤم العاصمة بيروت، حيث تتوفر الفرصة لاكمال مسيرة التعلم، وهنا لم يكن الانتقال طوعياً فقد فرضته التحديات، فمنذ مدة لبّى الثعالب في الجوار نداء

الحقد وقاموا بقتل ابيه ورموه كيوسف عليه السلام في جبّ عميق، لكن الفارق ان يوسف عليه السلام القاه اخوته حسداً وآل الى النجاة أما أبوه فقد أُلقي في الجب بفعل الحقد مقيداً بحبل مما سد منافذ النجاة فآل الى الشهادة، وها هي الثعالب الآثمة اعتادت ان تهجم مرات ومرات على القرية لتسلب خيراتها وترهب اهلها فتطرد من لياليهم الامن ومن ايامهم الاطمئنان، متكلةً في ذلك على ذئاب تروح وتجيء بين الحين والآخر لكن هذه المرة جاءت دون رواح وحلت في المواقع المختلفة من القرى الجنوبية في المنطقة التي سميت فيما بعد الشريط المحتل، فحاصروا كل شيء وقلصوا المجالات الرحبة، وباعدوا المسافات القريبة، واحتلوا التلال والقلاع وقمم الجبال،ولم يعد امام الفتية مجال للعبث ولا امام الشبان مكان لممارسة الهوايات، وهنا كان الاستحقاق الاول الذي فرض على الطير ان يغرد خارج السرب والمحيط، ويذهب بعيداً الى بيروت لينهل ما تبقى من علم في مرحلة اخيرة من التعليم العام، عله بعد ذلك يصبح مجاهداً ويعود يتنقل بين احياء قريته ليلاً، يسري بين بيوتها التي طالما أحبها واحبته وترعرع بين جنباتها، وهو يحن اليها حنين الواله الذي سوف يعود اليها يوماً، يروح يتمسح بالجدران العتيقة، وما زالت وهي العاشقة في انتظار له ولأترابه من الطيور الذين كانوا يبنون في أعاليها

أعشاشهم الصغيرة وفي اشجار الحقول المتباعدة وانهم اليوم راحلون، لم يبق في القرية الا اطلال المدرسة التي علمتهم بعض الكلمات والحروف والحكايات وبعض الشيوخ والمسنين من رجال ونساء يجلسون على العتبات متكئين على عصيهم واضعين الأكف على الخدود يراقبون ثلةً من صبية قليلين يتراكضون قد استوحشوا القفر وهالهم الصمت وأخافهم السكون وأجفل حواسهم الصدى الدائم لكنهم أُنس القرية والبقية الباقية لها، ولا احد سواهم يبعد عنها شبح الخلو التام، فاذا بها تحنو عليهم تخفف عنهم الوحشة علهم يقررون البقاء ليكملوا صورة الحياة فيها، فالمطلوب لتمام الصورة ان يبقى في القرية اولاد واطفال ولو بعدد الاصابع ليكونوا شاهداً على الحياة ودوامها تماماً كما تنبئ قطرات الماء في الاناء عن وجود الخير فيه ولو كانت بقدر صبابة فاذا جفّ الاناء اصبح بلا حياة..

.. حلت الظلمة على القرية فقد مات الاب على تلك الصورة الفاجعة التي اضحت واحدة من مكونات الخيال المأساوي وايضاً من مكونات الطموح بالانتقام لا للاب فحسب بل ايضاً لكل الذين ظلمهم الذئاب والثعالب وما زالوا كذلك يتعرضون للظلم والعذاب والهوان على امتداد ايامهم والليالي وفي مختلف مناحي الحياة، والذي زاد من الظلمة حالة الاجتياح الذي تحوّل الى

احتلال وما زال.. والادوات التي استخدمها الاحتلال كانت تفوق امكانات الطيور فهي غير جارحة ولا كاسرة ولم تتمرن بعد الا على الطيران والتحليق ولم تتقن استعمال أدوات القتل والحرب فلا بد من الهجرة المشفوعة بأمل العودة بعد ان يشد الطيور اجنحتهم والسواعد بالتدرب على القتال ووسائله لان المعركة بدأت ولم تعد طوراً من خيال، وها هي قرى الجنوب الاسيرة تنتظر والى جانبها فلسطين السجينة عودة أحمد والطيور ليرفعوا الظلم عن الكاهل فتعود الارض المحتلة الى الوطن كما كانت عزيزة ابية، وتعود فلسطين الى أمتها والى الجماهير التي احتشدت في كل العواصم والارجاء ترسل التحايا للقدس تتغنى بها وبمسجدها وبصخرتها وبالمآذن اغانٍ تستحضر الوجدان العربي ذكريات العنفوان المشحونة بشآبيب من القيم التي سترها الضعف والهزال، كما ان الشعوب العربية ما زالت تصطف عند الحدود المقفلة تنتظر الإذن لها برفع الاسلاك الشائكة لتخلع ما في الاقدام وتدخل الارض المقدسة بلا ارجاس في الاجساد بعد ازالة الارجاس من النفوس وتعيد ذلك التاريخ المجيد حيث دخل موسى عليه السلام الوادي المقدس طوىً الى ناحية من نواحي فلسطين..

غرّد الطير محلقاً نحو بيروت العاصمة، وهناك اكمل

ما كان يحب من الدراسة الثانوية طامحاً بان يدخل الجامعة ليحقق احدى الشهادات العلمية وبها يعود متسلحاً بالعلم والجهاد نحو القرية، الا ان ظروف الجامعة آنذاك لم تجذب ذلك الطير فرآها لا تصلح له ولا تشفي غليله ويمكن ان يأخذه تيارها في اتجاه آخر هذا فضلاً عن الظروف الخاصة التي املت الحاجة بان يساعد والدته واخوته، فلم يكن مناص من ان يترك الجامعة والدراسة العليا ليلتحق باحدى الوظائف التي بها يعيل اهله، فتوجه الى الجندية التي رأى فيها الوظيفة والجهوزية، الوظيفة التي يعتاش منها مع ذويه، والجهوزية التي بها يحمل السلاح ويتدرب عليه مقدمة لان يصبح مجاهداً من المجاهدين..

مرحلة الجندية المختصرة

.. استجابة لنداءات الاهل وبعض الاقربين، ولان أحمد قد اصبح شاباً والوالد قد وافته المنية، واستحقاقات العيش كثيرة، والحياة في العاصمة معقدة من عدة جهات، وتكاليفها باهظة قياساً الى القرية، فهناك يمكن ان يقتات المرء مما تجنيه اليد ومن خيرات الارض، اما هنا في بيروت فتحصيل أي شيء رهن بالشراء وبامتلاك المال، مما يزيد في صعوبة تحصيل الضروريات، فضلاً عن غيرها من الاحتياجات، والشاب

لم يعد في الجامعة فقد اوصدت أبوابها امامه وهو قد اوصد دونها الآمال، ولم تعد بالنسبة اليه ذلك الهدف الذي تنشده قلوب الشباب، وأمامه خيار واحد هو البحث عن ميدان العمل الذي به يليق ومنه يعتاش ويعيل أهله. وصادفت دورة جندية في تلك الفترة وأصر الاقارب على ان يتقدم اليها وبفعل شهادته من جهة، وان الله قد زاده بسطة في الجسم ايضاً، نجح في امتحان الشرطية، واصبح احد الجنود فيها، لكن سرعان ما أحس بأنه يسبح عكس التيار وانه يخالف ما يصبو اليه وان مسيره قد يكون في الاتجاه المعاكس، وان المحل الذي وضع نفسه فيه ليس له، وان الاضطرار لتأمين اسباب العيش لا يبرر الانزلاق الى هذا المحل، حيث هناك شبهة اشكال في المال وفي الحال، مما حداه أولاً ان يأخذ من الراتب ما يسد الرمق له ولأهله، ويوزع الباقي على المحتاجين والفقراء ظناً منه بأن فيه شبهة حرمة، وان عليه الاقتصار على موارد الاضطرار، تماماً كما تُباح بعض المحظورات بالقدر المتيقن من الحاجة عند الضرورات والحالة الواقعية هذي لم يستطع ان يتعايش معها ذلك الشاب المتعدد الطموحات وفيه الطاقة المتوقدة المشحونة على الدوام بأمل العودة الى ذلك المكان على مسافة غير بعيدة من الجب ليحفر قبراً للغزاة من الذئاب ولاعوانهم من الثعالب، ويحرر القرية ويعود اليها مع

المهاجرين منها، وهناك لا مشكلة في العيش، فالعيش زهيد وتكاليفه بسيطة وادواته متوفرة، ولا حاجة عندها للانخراط في وظيفة، فالجهاد باب الى كل الكرامات، وهي اغلى من كل شيء، ومن يوفق لهذا الشرف يغنيه عما عداه، فالرزق في هذه الحياة مقسوم، وان لم تطلبه طلبك، وفي حال الطلب مع عدم القسمة فالبحث يكون عن السراب، والقناعة هي الغنى الحقيقي، وان الاهل في رعاية الله، وان القيام بالتكاليف يفتح أبواب النعم الالهية، وان الاتكال على الله ينجي العبد، وانه لا بد من خطوة كبيرة وصعبة في المرحلة الاولى لكن سرعان ما تهون، وان العسر الذي يعيشه مع ذويه لا بد يتبعه يسر، وان الصعوبة في البداية سوف تتحول الى عذوبة وحلاوة مع الأنس برب الخلائق.. فبادر أحمد الى رمي البندقية التي في يده لا كل البندقية بعد ان اصبح معتاداً على حمل مثيلاتها وعلى استعمالها.

ونوى ان يرجع لاحقاً الى هذه البندقية والى سماع ازيز رصاصها والى التلذذ بمناغاتها في التلال والوديان والى معانقتها معشوقة ترقد الى جانبه في تلك الفيافي والهضاب، كل ذلك بعد ان يعد العدة من هناك، من ايران حيث انطلقت ثورة الغضب الألهية، وبدأت شعلة روح الله تتوهج في الآفاق باعثة في نفوس الاحرار توقاً الى العزة والمجد والحرية..

تجربة الجهاد الأولى

.. اصبح الطير جندياً، قادراً على ممارسة القتال وعلى النزال، لم يعتد ذلك عندما كان شرطياً، بل اقصى ما فعله آنذاك هو التدرب على السلاح، تجربته الجهادية الاولى كانت في بعض العمليات ضد الذئاب واعوانهم الثعالب بين عامي ١٩٧٨ و ١٩٨٢. لم يكن عندها مقاتلاً في صفوف مقاومة بعينها، بل اراد ان يبدأ بتحقيق بعض الآمال التي شغلت لبّه طوال سنين، وما فتئ يفكر بها في صباحه والمساء، فضلاً عن انها الاحلام الهنيئة التي كانت تظلل الواقع والخيال وباتت اليوم تطارد الخيال وتفرض واقعها على حياة ذلك الطير الذي قام بعدة طلعات في محيط القرية، ادى بعض الكمائن، فجّر بعض العبوات، لكنها في الاجمال كانت محدودة فالتجربة حديثة، والسلاح قليل، والخبرة قليلة، والرفاق افراد معدودون، والتنظيم مفقود، ومع ذلك لم يتنظر العدة ولا العديد، ولا الخبرة والتمرس، ولا التنظيم والاقتدار وانما باشر بنفسه واجب الجهاد مع قلة من الافراد كانوا قد بدأوه منذ ذلك الحين..

بعد مدة وجيزة حصل الاجتياح لبيروت، وأحمد هناك، شاب في الرابعة والعشرين من عمره، والمواجهة الضارية على خلدة كان احد روادها، مع ثلة من المجاهدين الذين خفت اسماؤهم وعلت افعالهم وسقت

دماء بعضهم، وغذّت جراحات آخرين أرض الوطن، فقد صمدوا واستبسلوا ودافعوا عن الديار حتى الرصاصة الاخيرة. وهنا في خلدة تبلورت فكرة الجهاد اكثر فأكثر، واحس أحمد بان الاستعداد سيكون لمعركة طويلة، فالذئاب قد احتلوا بيروت وسلاحهم ثقيل وعددهم كبير، والخزي يلف دروب العرب والمستعربين، وها هي الشيم العربية قد ضاعت في اروقة الفنادق والملاهي والمنتجعات والكرامة العربية غدت اموالاً طائلة رصدت في بنوك الغرب وامريكا، وكل الامكانيات التي بُذلت لصنع الجيوش العربية ذهبت هباءً، الجميع استسلم تحت وقع الهزيمة النفسية قبل العسكرية، والآفاق مسدودة، لكن الطموح اقوى من السدود، فذاكم النور يسطع من طهران حيث الخميني قام، باعثاً في الامة الصحوة وللدين الحياة، وقام معه رجال اشداء ذوو بأس شديد من رجالات الحرس للثورة التي اطلقها والذين تلاقى هدفهم مع الهدف الذي نشده أحمد منذ الصغر، بأن يعمل لتحرير قريته ثم توسع الحلم ليشمل الجنوب المحتل، ثم كبر ذلك حتى اصبحت فلسطين في مقدمة الامل وفي نهايته، وبات تحريرها غاية المنى..

بات الطير نسراً، يقدر ان يسافر الى المسافات البعيدة،وها هي ايران تناديه وصوت الخميني يهدهد في اذنيه ان هلُمّ الينا ايها النسر الجسور فهنا مبتغاك،

وغاية مناك، وهنا تقدر ان تلبي هواك. فجمع النسر اغراضه ما خفّ منها وما ثقل مما يصلح للسفر في رحلة الى ايران فاليها تُشدّ كل الرحال وفيها قم آخر حاضرات العلم في آخر الزمان، والبلدة التي استوطنت بعض الروايات عن الائمة عليهم السلام بأنها مدينة للعلم مقر للقيام محل للثورة، ومنها الرجل الذي يمهّد للمهدي "عج" دولته، مع رجال اشداءٌ يسيرون كالرعب وهو يسير امامهم، يطلبون الحق لا يتقاعسون عنه، حتى يبلغوه، لا يحول بينهم وبين الحق شيء من اسباب الحياة وقوة المستكبرين.. لقد قرأهم النسر في بعض الكتب فاذا بهم ما تطلّع اليه صورة الحق التي راودت مقلتيه، فهو طالب حق وهم كذلك فأحب ان يطلبهم في عرينهم وأن يصل اليهم قبل ان ينتشروا نحوه دعاةً الى الحق، وقد وصل النسر الى ايران في بدايات الثورة وبدايات المقاومة وهناك بدأ مشواره الذي لم يدم طويلاً، عدة سنوات من الدرس والعبادة والتردد على العلماء الربانيين. ففي قم نهل علم النبيين والوصيين وبين قم وطهران تعلّم دروساً أخرى في الجهاد والقتال. وبعد ذلك كله تكلل النسر بالعمامة البيضاء التي حكت عن الطهارة والصفاء والصدق مواصفات حملها الشيخ في نفسه وكانت تعبّر عنه في كل خطواته، فيها عُرِف وعليها استوطن الارض وبها فارق الحياة..

الاستجابة لنداء روح الله

.. هناك في قم، وعلى مسافة بضعة أميال إلى جوارها، وفي ضاحية من ضواحيها مسجد جمكران، حيث الحبيب قد طلب بناء الصرح لتهفو اليه قلوب المحبين التائقين الى رؤية غرة العزيز الغائب عن الانظار، الحاضر في القلوب، يسرون اليه ليلة كل اربعاء يدعون ربهم سرا وجهراً علهم يتشرفون بلقائه ولو في غفوة او كبوة، الى هناك كان يتوجه أحمد وعلى راسه عمامة الشيخ التي ما اراد ان يعتمرها الا باعتبار الحصانة من الاثم والقداسة من الدنس والقيام بالواجب واداء التكليف، كان يتوجه كأحد المحبين الذين لازمهم الشوق الى امام زمانهم وصاحبهم الذكر له في الغداة والعشية.. والى المعصومة الطاهرة في احضان الحوزة العلمية كان يشد الرحال يومياً للدعاء والابتهال والصلاة والزيارة فالشيخ والعبادة امران متلازمان، وهذه العبادة مع كونها انسه ومعشوقته التي تلهمه وتضيء دربه وبها ينطق بالحكمة التي تفيض من جنبات لسانه دائم الذكر، الا انها لم تلبِّ كل طموحه ولم تشكل تمام الراحة التي يصبو اليها، وبقي العقل شارداً واللب حائراً، والقلب منشغلاً بمحل العشق والعبادة الحقيقية التامة، بميدان الجهاد وساحة المبارزة مع اعداء الله، فقد دغدغ مشاعره وسرى الى عروقه وهز جميع اركانه

ذلك النداء العظيم للامام العظيم بان هلمّوا الى الجهاد، قوموا لتحرير فلسطين، لا ترهبكم امريكا فهي طبل فارغ، عليكم ان تزيلوا اسرائيل من الوجود فهي غدة سرطانية، ولا بد من عودة القدس للمسلمين، وان يوم القدس هو يوم الاسلام الذي يفرّق بين الحق والباطل، وان الجهاد والاستعداد له واجب على كل مستطيع، وهكذا تغلغلت هذه النداءات الى شراشر وجوده، وجرت مع الدم لتصل القلب والفؤاد .. فشمّر الشيخ عن ساعديه، وتوضّأ وضوء المغادرة، وصلى صلاة الوداع، وافل عائداً الى الوطن لا ليؤم المصلين في احد المساجد الصغيرة او الكبيرة او ليعقد القران بين شبان وشابات ارادوا الزواج من ابناء قريته او محلته او قرابته ولا من اجل ان يتصدر المجالس والقاعات ولا ليرتقي المنابر في الاحتفالات والمناسبات، ولا ليبني بيتاً يليق بعالم دين ولا لاي هدف آخر سوى الالتحاق بالجبال والروابي ومعانقة الصخور والاشجار البرية والنوم في المغاور، والاستماع الى لحن القذائف والطرب بهدير الطائرات والصواريخ المقذوفة من الجو، وليستأنس باصوات الحيوانات الوحشية والسباع ولينام على وقع الرشاشات من المواقع، وليستيقظ على نبأ العمليات واخبار الاستشهاد، وليودع مجاهداً وليستقبل شهيداً، وليصافح المجاهدين ويقبل جباههم واحياناً ايديهم،

هذا هو الامل والطموح والمنى والهوى والعشق والرغبة والانس والهيام واللذة والراحة النفسية..

لكن قبل ان يغادر، أصرّ النسر على ان يكلل هامته بذلك الرمز الالهي على يدي الامام الذي استقطب وجوده وأثّر في جميع كيانه وبات الشاهد على محبته لاولياء الله وعلى عشقه لامامه فهو من ينوب عنه ويحكي حضوره رغم الاحتجاب، ودّع النسر المكلل بالعمامة البيضاء ايران عائداً الى لبنان، موطّناً النفس على خوض غمار الجهاد حتى الشهادة ولم يعد في الطريق أي عائق يحول بينه وبين هواه وعشقه القاتل ففي قلبه شوقٌ لا ينطفئ الا باللقاء وحنين لا يبرد الا بالوصال وجوىً لا يسكن الا بالمشافهة وحباً لا يهدأ الا بالاحتضان وكلوماً لا يشفيها الا عناق الحبيب فصدف عما عداه وحضر في ربوع الجهاد لانها موطن الاقلاع ومحل الهجرة ونقطة العروج السريع الى الحبيب..

العودة الى لبنان

.. قرار مبني على تطلعات كبيرة، تولدت في الصغر، وترعرت مع السنوات، كانت مرتكزة في اللبّ واختمرت في تجربة قم وما حولها، اصبح الشيخ مستعداً في اكثر من اتجاه للعودة الى وطنه، لترسو سفينته من جديد عند ذلك الشاطئ الهائج الذي تعبث برماله وصخوره

ومياهه وحتى الاسماك تلك الحيوانات البشرية المنتشرة في اكثر من مكان من ربوع الوطن تحكي عن احتلال جاثم يربض على جسد لبنان، وقد استحال احتلالاً له سمة الدوام بفعل التقاعس وقلة المواجهة وضعف ارادة الكثيرين، الا ثلّة من الذين آمنوا بربهم وراحوا يتحينون الفرص للقيام بواجب الجهاد ولضرب العدو صفعات متتالية لم تكن موجعة في البداية الا ان تداعياتها كبيرة ونتائجها عظيمة فهي تخفي في طياتها شعوراً بالعداء واستعداداً للفداء واستمراراً للمواجهة وتهيؤاً لقتال على مدى سنين، فالوتيرة التي اتخذتها العمليات اصبحت متصاعدة، والعدو الذي انسحب منذ مدة الى تخوم صيدا بدأ يشعر تدريجياً بان البقاء عليه مستحيل، وان عليه مغادرة المنطقة قبل ان تتراكم المهانات والهزائم فهو لم يعتد من ذي قبل على هذا النوع من الاستنزاف..

عاد النسر الى لبنان وكانت محطته الاولى في بيروت، لعدة ايام قلائل لكنها كانت ثقيلة الايقاع، اطّلع فيها الشيخ أولاً على احوال الجهاد والمجاهدين وثانياً على احوال أمه واخوته واقاربه وبعض الاصحاب واودع زوجته واولاده بعض التحايا واخبرهم انه على موعد مع الجهاد وهو عهدٌ كان قد صاغه مع زوجته التي اختارها من عائلة مجاهدة لتتحمل معه صعوبة الدرب وقساوة

الظروف، كل المفردات عدا الجهاد كانت بالنسبة اليه عرضية مع اهميتها، ومع انه كان يرعى الاسرة بكل ما اوتي، وهو يحنّ على الجميع، ويتفقدهم ويرعى احوالهم ولا ينساهم، ويحاول ان يؤمن احتياجاتهم ولو من البعيد، الا ان الامر الذي شغل لبّه طوال سني عمره ومنذ اليفاع هو حلم الجهاد والقتال والمواجهة والانتقام من الاعداء والمحتلين، حلمٌ جعله ينسى نفسه والنفيس عليه ومن تجب رعايته، ليلتحق بسوح الجهاد غير آبه بالزي الذي يرتديه فهو لا يحول دون المبارزة ولا يمنع من القتال فكذلك كان الائمة عليهم السلام، وقد يكون في ذلك قدوة لغيره من العلماء فضلاً عن انه اصبح بعمامته سلوى للمجاهدين..

امضى الشيخ عدة ايام في بيروت، يسأل بعض الاخوة عن حال الجبهة ليعرف من اين يبدأ وكيف سيلتحق، وما هي الوسائل التي يجب ان يوفرها قبل الالتحاق، ومن هم الاخوة الذين استشهدوا وما هي حكاياتهم وقصصهم فهو بالاصغاء اليها يدخل الانس الى الفؤاد والقوة والبهجة الى الجوانح ويسأل عمن جُرح وعمن سافر وعمن بقي، وما هي القصص النادرة للعمليات التي تم تنفيذها، واين كان التسديد لصاحب الزمان "عج" وما هي الشواهد على ذلك،وكيف استطاع الاخوة النجاة من ذلك الكمين، وكيف حصلت تلك الكرامة

للآخرين، وهكذا تملّى الشيخ من حكايات القوة وروايات العزة، وتهيأ من كل ناحية، وتوضأ وضوء الجهاد واغتسل غسل الشهادة وودّع الاهل والعيال متوجهاً نحو الجنوب فهناك قبلته وهواه ومهبط الآمال ومحل المناجاة والدعاء والعبادة الحقيقية..

الطريق الى الجنوب، مسير الى الجهاد، الذي بدأ ولم ينته، جهادٌ واكب المقاومة في سنواتها الاولى ولم ينتهِ الا عندما اينعت عطاءاتها نصراً.. أضحى الشيخ عندها فائزاً بكلا الحسنيين نصرٌ وشهادة..

حكايات الجهاد الطويلة

.. اصبح الشيخ أحد المجاهدين، وتحقق بذلك الحلم وبقي الطموح، الطموح بالشهادة، وان يرى البلاد قد تحررت من رجس الاحتلال، وقد رافق ذلك اول انسحاب وجلاء من مناطق صيدا وصور والزهراني والنبطية باتجاه ما سُمي الشريط المحتل الذي اضحى منطقة العمليات الاساسية للمقاومة، وهناك حفر الشيخ في قلاع وتلال وصخور جبل صافي حكاياته الطويلة مع الجهاد والتي جمعت بين الدم والعاطفة، الدم الذي كان ينزف من اطراف الجسد العائد من احدى العمليات والعاطفة التي بثّها الشيخ في ذلك المكان الذي تآخى معه ليس فقط في عيد الغدير بل على امتداد المناسبات

والايام، فلو قُدّر لذلك الجبل الشامخ ان ينطق لكانت اولى تعبيراته او اكثرها تشير الى مستوى الحميمية مع الشيخ أحمد، كيف لا وهو لم يفارق الجبل الا عند الضرورة او لوجوب المغادرة لملاقاة العائلة والاولاد وايتام شهيد احتضنهم الشيخ وكانوا بين اولاده كأولاده او ليشارك بتشييع احد الشهداء في قريته ولیواسي اهله او لينصح احد الاخوة بالعودة عن قراره بترك الجهاد بسبب بعض المشاكل التافهة او الحساسة على السواء، وهنا تعددت حكايات الشيخ مع ساحة الجهاد الممتدة من صافي الى الشرق باتجاه القطاع الغربي الغافي على تخوم البحر عند جسر الحمراء وموقع البياض، لم يخل موقع من التشرف بوجه الشيخ النوراني،ولم تخلُ نقطة منه، كان يحضر احياناً باسم التبليغ والقاء بعض المواعظ، لكن سرعان ما يجد نفسه مجاهداً يحمل البندقية ويحرس في احدى فترات الليل يراقب الاقمار التي تراقبه والنجوم التي تسامره بالتسبيح، ويشارك في عمليات الاستطلاع والرصد التي تحصل في تلك النقطة تماماً كما هي واجبات كل فرد من افراد النقطة. وعندما يريد ان يعظ فقد كانت موعظته الجهاد وكان درسه الفداء، وكانت نصائحه العطاء بلا حدود، وكان ذكره وتذكاره بالشهادة ولقاء الحسين عليه السلام.

ومن خلال التنقل هنا وهناك توزعت المشاركات

القتالية للشيخ أحمد من عمليات قصف ورصد وكمائن واقتحام ولم تحل العمامة بينه وبين أي نوع من الانشطة الجهادية، وهو لم يأبه بكل التوجهات والنصائح التي كانت تقدم له لكي يتحول الى العمل التبليغي، لان مجرد وجوده في الجبهة كافٍ ليحفز المجاهدين ويقوّي هممهم ويشد عزائمهم، وعليه ان يتنقل بين المحاور ليحقق هذه الفائدة دون ان يمتشق السلاح ويشارك في الدوريات ويخوض غمار الحرب ودون ان ينخرط في العمليات حتى ولو في موقع الاسناد والدعم.

لم يلتفت الشيخ لكل النداءات والارشادات سواء جاءت من جهات مسؤولة او من غيرها، بل اصر على اكمال الجهاد الى جانب اخوته لان في ذلك سلوى له فهو لا يريد تحفيز الآخرين فحسب بل ايضاً يريد ان يلبي حاجات نفسه التواقة الى الشهادة.

وكثيرة هي المحطات والمواقع التي تشهد للشيخ أحمد بالبطولة والشجاعة، فقد اصبح له باع في الحرب وفي غمارها، فهو يخترق العوائق ويتسلل بين المواقع ليصل الى المنطقة المحتلة، من اجل ان يستطلع او يساهم في زرع عبوة او في كمين، وفي كثير من المرات كان يتوجه نحو قريته، يزور اهلها العاجزين الذين اجبرهم الاحتلال على المبيت باكراً بفرض منع التجول وقد

أرغمتهم الوحشة على ملازمة البيوت في ساعات ما قبل الغروب يروح الشيخ بثيابه العسكرية يزور قبر أبيه، يتلو لروحه الفاتحة، يجدد عنده عهد الثأر له ولقريته وللأرض الطاهرة المدنّسة برجس الذئاب ويروح يتفقد مسجد القرية الذي اصابته بعض قذائف العدو واصبح بلا مأذنة، ويسلّم على بعض الرجال والشيوخ يعرّفهم عن نفسه ويخبرهم بان النصر قريب وانه سيعود الى القرية مع رفاقه فاتحين.

ومن حكاياته الكثيرة انه كان يتوجه الى العمليات حاملاً السلاح بيد والسبحة باليد الأخرى يذكر الله عز وجل دون انقطاع فهو رفيق دربه وانيسه في تلك الليالي والمحال المقفرة، ولم يكن ليودع السبحة الى جيبه الا عندما يصل الى مقربة من الموقع المستهدف، وكان ذلك دليل اطمئنان وثبات، يبعث في نفسه السكينة وكذلك في نفوس من يرافقه الطريق..

علاقته خاصة بالشهداء، فهو دائم الحديث عنهم وعن بطولاتهم (لا سيما القادة منهم كالحاج جواد وهيثم دبوق وغيرهما) متمنياً اللحاق بهم، وعندما كان يشعر بأن الاجل يفلت منه، والموت ينأى عنه، والشهادة تعدو أمامه، كان يعود الى سجل الاستشهاديين حيث دوّن اسمه، محاولاً ان يفوز بالإذن للقيام بعملية استشهادية، الا ان الحظ لم يحالفه فاسمه في منتصف

اللائحة وأمامه الكثيرون وعليه ان ينتظر الاستشهاد كما الشهادة..

تكاد الجبهة لا تخلو منه، بل كل العمليات كذلك، لم يكن يرضى ان تحصل احداها دونه، على الاقل ليكون الى جانب المجاهدين، يقبّلهم قبل الانطلاق، ويقرأ معهم دعاء الجوشن الصغير، ودعاء الحجة عليه السلام، ويودّعهم بتقبيل المصاحف والسير تحتها اعلاناً بالخضوع لرب الارباب صاحب هذا الكتاب، هذا الخضوع الذي يعني انعدامه تجاه غيره، فهم اعزاء في قبالة الآخرين فان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين..

مع المجاهدين

كان معهم كأحدهم، حمل الى جانبهم السلاح والمؤن والعتاد، ولم يرضَ أن يمتاز عنهم في شيء، كان يساعدهم في نقل الاغراض والوسائل سواءً القتالية منها او الطعام والشراب وبعض الادوات، وكان يخفف عنهم الحمل والاتعاب ويروح يسليهم بذكر الآخرة وبثواب الجهاد والمرابطين والصابرين، وكذلك يمازحهم اثناء الطريق كي يقلل الوعورة ويخفف الوحشة فتنزل عليهم السكينة والأمنة كأنه ملاك من السماء اودعه الله الارض لمؤانسة المجاهدين..

وفي داخل النقطة مغارة كانت ام تدويرة صخيرات

منحوتة كان إمامهم وفي الوقت عينه ذلك الصديق الرفيق، الذي ينزع عنه العمامة في غالب الاحيان حتى لا يشعر احد بفارق او بميزة، فيكون الجميع في راحة من المجاملة واللياقات المعتادة مع العلماء، فيروحون يمازحونه ويتحدونه ويتعاركون معه، ويدبّرون له بعض «المقالب» وسوى ذلك من وسائل الملاطفة والمزاح التي يمارسها الاخ مع اخيه لكن عندما يحل وقت الصلاة، تراهم يصطفون حوله بالرغم من انه يحب ان يصلي خلفهم اكثر من صلاتهم خلفه، عندها يحصل الفضل ويؤسس الاخوة لبعض المسافة بينهم وبين الشيخ، صحيح ان تواضعه الغى كل المسافات الا ان ذلك يفرض عليهم مستوى اعلى من الاحترام، كيف لا وهو الذي آثر ان يكون الى جانبهم يشاطرهم هذه الحياة بما فيها من صعوبات وان يتنازل عن كثير من الشأنيات والاعتباريات طريقاً الى السؤدد والمجد الالهيين، وبعد انقضاء الصلاة تعود الامور الى سابق العهد، وتذهب التكلفات لتأتي العفويات الصادقة التي تعبر عن مدى حضور الشيخ في وجدان المقاومين..

ولم يكن الشيخ من محبّي حضور المناسبات خصوصاً مناسبات الفرح، الا اذا تعلّق الامر بزفاف احد المجاهدين فانه يبادر للحضور، بل احياناً يكون اولهم

تعبيراً عن الاخوّة الحقيقية وانه يقف معهم والى جانبهم في السراء والضرّاء، وفي الزفاف كان يمرر بعض النكات عن الآخرة وعن الحور العين حتى لا ينسى أحدٌ من المجاهدين ذلك اليوم الآخر..

وكذلك في مناسبات الالم، عند شهادة احد الاخوة فانك تراه في مقدمة المشيعين، الذين يباركون ويهنئون وهو يقول «نيّالو» فقد رضي الله عنه بنيله الشهادة، وقد كان صادقاً في ذلك فهو الحريص في كل لحظاته بالدعاء والابتهال الى الله لكي يرزقه الشهادة متشفعاً في ذلك بأئمته الطاهرين واحياناً بالشهداء والمجاهدين.

وقد كان على لسان الاخوة في كل حين، يُذكر بأنه مجاهد بطل وبأنه عالم رباني وبأنه اخ وصديق، ويُذكر في كثير من نوادره التي حصلت اثناء تأدية بعض الواجبات، وفي اطلاقه التعبيرات الجهورية وفي كيفية تعبيره عن الشوق الى الاخوة.

وقليلاً ما كان يترك الجبهة، فالاسباب التي كانت تدفعه لذلك محدودة ومن جملتها انه تناهى الى سمعه بان المجاهد الفلاني وبسبب مشكلة مع مسؤوله او مع بعض الرفاق او لضرورةٍ ما قرر ترك المقاومة ليعمل في ميدان آخر، فاذا بالشيخ يبادر الى ملاحقة الاخ في قريته او في المدينة ليوافيه ويطلب منه العودة واحياناً يمازحه ويضربه بقبضته الشهيرة بين الاخوة والتي لا

يتمناها احد منهم فهي «كالمرزبّة» او كمطرقة البنّاء والتي تنزل على الظهر فيبقى بعدها المرء دون تنفس لعدة ثوان، ومع مرافقة الاوجاع لعدة دقائق، هذه الضربة كانت من نصيب من يعاند الشيخ في هذه المسألة ويصر على ترك المقاومة، وفي حال كانت النتيجة الترك كان يأسف الشيخ لخسران الاخ هذا التوفيق الالهي وكذلك خسارة الجبهة له، ويعود ادراجه متأسفاً حسيراً الا انه في غالب الاحيان يمتلك القدرة على الاقناع للعفوية الصادقة، وببركة اخلاصه وكذلك بالحجية التي يمثلها تجاه الجميع من خلال وجوده في المقاومة ليس كعالم دين وانما كمقاتل..

.. وحديث الشيخ على لسان الجميع، وخصوصاً الشهداء قبل استشهادهم، فهم يذكرونه ببطولاته وكذلك بروحيته العالية، وهنا أستحضر الشهيد هيثم دبوق منفذ العملية الاستشهادية في تل النحاس، والذي كان معروفاً بصمته وكثرة عبادته وانه بلغ حالاً من التقوى ومن العرفان بالرغم من انه لم يتجاوز التاسعة عشرة من عمره، هذا الشهيد صادف ان التقيته قبل عدة ايام من استشهاده، ومن دون سابق حديث، وعلى خلاف عادته بملازمة الصمت اخذ يتحدث عن معاناة المجاهدين، وكان يوجه اللوم في اكثر من اتجاه، لكن سرعان ما التفت وقال: ما عدا الشيخ أحمد يحيى «أبو

ذر» فهذا بطل ولا يُقاس بالآخرين، واخذ يعدد ويتحدث عن بعض المناقب البطولية للشيخ، لا من جهة حضوره في الجبهة بل ايضاً من جهة مشاركاته في العمليات..

ومن محبة المجاهدين له، احبه اكثر الناس من اهلهم ورفاقهم وممن خبروا امره وعرفوا سيرته، واطلعوا على بعض اخباره واسراره، فقد اضحى نموذجاً صالحاً يجبّ الغيبة او التهمة عن الكثيرين ويمنع من سريان المثل السيء بين الناس وهو حجة على العلماء وحجة على الناس وحجة على المجاهدين، فمن جهة العلماء هو واحد منهم ألفتهم واشار لهم الى الموقع الصحيح الذي يجب ان يكونوا فيه اما بشكل دائم كما فعل هو او على الاقل بالتردد اليه بين الحين والآخر، وبالنسبة للناس فهو الشيخ المجاهد وبالتالي ليس عظيماً ان يجاهد الافراد العاديون وطالما انه عرضة للجراح او للشهادة فان ذلك يخفف من هول الجراح والشهادة للآخرين، وبالنسبة للمجاهدين فان الشيخ ثبت واستمر ولم يبالِ بأي شيء وتحمل كل المرارات مما يعني ان عليهم ايضاً ان يقتدوا به ويتجاوزوا كما فعل كل التحديات والصعاب.

هكذا مثّل الشيخ القدوة للجميع، وقد بنيت هذه القدوة على عنصرين اساسيين في سيرته، العبادة والجهاد. العبادة التي ارتسمت ملامحها على جبينه والجهاد الذي شهدت له فيه كل حدود الجبهة وكل

نقاطها وكل المواقع المنتشرة من الشرق الى الغرب.. وما زال الشيخ رغم الفراق سمير المجاهدين في لياليهم القارسة ونديمهم في جلساتهم الانيسة وشريكهم في الصعاب والمشقات..

واليوم ومع انقضاء ما يقارب السنتين على الغياب فان اكثر احدوثات المجاهدين عنه وعن نوادره وبطولاته، النوادر التي تحكي العفوية والصدق والبطولات الحاكية عن الشجاعة والبأس والاقدام، هذا فضلاً عن الامثولة الحسنة في العبادة والزهد والورع، انه ما زال بينهم، يمشي التؤدة، يمتشق السلاح، يحمل السبّحة، يهلل ويسبح ويذكر الله، ولا ينظر الا امامه، ويردد دوماً «الله اكبر» ويستجيب للاخوة في طلباتهم، ويقف الى جانبهم في محنهم، ويشد عزائمهم في الاهوال، ويهدّئ روعهم عند اشتداد النزال ويتقدمهم عند القتال، واذا ما سكنت الامور وعادت الى طبيعتها يعود من جديد الى التذكير بالله وبالآخرة وبثواب الجهاد وبمقام الشهادة فكيف سينساه من عاش العمر معه ورافقه تلك السنين فانعكس في مرآة نفوسهم الصافية التي أودعها حب الله المتجلّي حباً له كأحد أوليائه..

العبادة الدائمة

لقد لازم الشيخ العبادة كما لازمته، وكانت السمة

نقاطها وكل المواقع المنتشرة من الشرق الى الغرب.. وما زال الشيخ رغم الفراق سمير المجاهدين في لياليهم القارسة ونديمهم في جلساتهم الانيسة وشريكهم في الصعاب والمشقات..

واليوم ومع انقضاء ما يقارب السنتين على الغياب فان اكثر احدوثات المجاهدين عنه وعن نوادره وبطولاته، النوادر التي تحكي العفوية والصدق والبطولات الحاكية عن الشجاعة والبأس والاقدام، هذا فضلاً عن الامثولة الحسنة في العبادة والزهد والورع، انه ما زال بينهم، يمشي التؤدة، يمتشق السلاح، يحمل السبّحة، يهلل ويسبح ويذكر الله، ولا ينظر الا امامه، ويردد دوماً «الله اكبر» ويستجيب للاخوة في طلباتهم، ويقف الى جانبهم في محنهم، ويشد عزائمهم في الاهوال، ويهدّئ روعهم عند اشتداد النزال ويتقدمهم عند القتال، واذا ما سكنت الامور وعادت الى طبيعتها يعود من جديد الى التذكير بالله وبالآخرة وبثواب الجهاد وبمقام الشهادة فكيف سينساه من عاش العمر معه ورافقه تلك السنين فانعكس في مرآة نفوسهم الصافية التي أودعها حب الله المتجلّي حباً له كأحد أوليائه..

العبادة الدائمة

لقد لازم الشيخ العبادة كما لازمته، وكانت السمة

عين القمر على ذلك التل يبعث في الوجه النور والسهر في عين القمر كذلك، والسير في المفاوز وفي الفجاج الوعرة عند سطوع الشمس وفي وضح النهار يبعث ايضاً في الوجه النور، وقيام الليل يولد النور والاشراق، والعبادة مع الخشوع والتوجه تسفر النضارة في المحيا، فمع القمر والشمس ومع الليل والنهار، ومع الصلاة والذكر، اصبح الشيخ فارس عبادة وراهب ليل وليث نهار، لقد تجلّت آيات الرحمن في وجنتيه واسماؤه في مقلتيه وصفاته في خافقيه وذاته في روحه السارحة دوماً الى العلياء، عابرة كل بحار الزمان وكل شطآن المكان وكل الحدود في اطار الظلمة او النور على حد سواء، لتسافر في رحلة المعراج الى محل الانس والراحة الابدية، لتعبر عن الحياة حق الحياة التي يوفرها السفر الى ذلك المحل، حيث غاية آمال العارفين ومهبط معراج الأولياء والصالحين وتطلع جميع العاشقين من الاولين والآخرين، الى هناك، يمم الشيخ وجهه، صادفاً عن متاع الدنيا وحطامها، وقد ألقى خلفه الأثقال، رامياً من يديه كل الأعباء، آخذاً من الزاد التقوى ومن مادة الدنيا ما يحافظ على الرمق ويمنع من الهلاك، وسافر في كل آن الى هناك، وقوده في ذلك الذكر ووسيلته العبادة وواسطته حب اهل البيت عليهم السلام وتقرّبه دوام المناجاة لامام الزمان ارواحنا فداه، وقد اوحشته دوماً ذكرى البقاء في

هذا المحل فبات يعيش بين عالمين، عالم هو فيه بجسده، وآخر هو فيه بروحه، وهو معلق بين السماء والارض، فاخذته الحيرة ولازمته الدهشة، فلم يأنس بهذا التردد بين عالمين، أحدهما يؤنس والآخر يوحش، فهو عازم على قطع العلائق مع عالم الوحشة، وعلى التوجه الى عالم الانس، وهو يعرف ان وسيلة الخلاص هي الشهادة التي تحول بينه وبين الدنيا وتنقله الى المحل الذي تطلع اليه دوماً وهو واثق من ان حسن ظنه بربه سوف يوصله الى مراده ويحقق له مبتغاه فان الله مع الصابرين..

سمات ومزايا خاصة

.. قلّما تجد فضيلة لم تكن فيه، او منقبة لم تعبّر عنه، لقد حكى في شخصيته كل الفضائل وجسّد مكارم الاخلاق.. ومن بين مزاياه الكبيرة، برزت عدة منها في نقاوة عينيه وصفاء سريرته ونداوة معشره وحلاوة مجلسه وصحبته، وكان ابرزها الزهد الذي رافقه في حياته فهو لم يهوَ الامتلاك ولم تجذبه الوسائل ولا حيّرته التقنيات ولا اعجبته الزخارف، فبات يستخدم وسيلة النقل التي توصله الى غايته دون تطلع الى الطبيعة والهيكل وتاريخ الصنع ولا الزوائد والمزايا الخاصة، ويعيش في بيت من غرفتين ونيّف سقفه من الالواح في زاوية فقيرة من ضواحي بيروت الجنوبية، بيتٌ كانت حيواناته الأليفة

الجرذ بدل القطط، ولم يحاول ان يمتلك بيتاً او شقة، بل تنقل بين القرى والبلدات يحل ضيفاً هنا ومستأجراً هناك، لم تفرض عليه ظروفه الصعبة وكثرة العيال من ابنائه وابناء الشهيد صالح الذين تكفلهم الشيخ ان يتملّك بيتاً ليستقر بهم بعد سنوات من التجول والترحال وقد مات الشيخ وهو على هذي الحال..

ومن سماته التواضع، مع العفوية، فهو مجبول به، لم يتصنّعه في أي لحظة، تواضعه مع الجميع، خصوصاً المجاهدين، حيث كان ينظر اليهم على انهم اسمى منه درجة واعلى مرتبة بفعل الجهاد.. ولم يكن يأبه الشيخ للمسؤولية وللمواقع، فكل ما يعنيه ان يجاهد، وكان يرضى بان يقاتل تحت إمرة أي مجاهد، وهو مستعد لان يطيعه في كل الخطوات دون حاجة الى قناعة مسبقة..

ومن مزاياه تعبّده والتزامه بالتكليف وكأنه أمر الهي، كان يذوب في الامر الصادر اليه ويلتزم به ويحرص ان يؤديه كاملاً من دون تلكؤ او نقيصة، وكأنه صادر عن امام الزمان أرواحنا فداه، ومن دقة طاعته ومن التزامه علّم الجميع الطاعة، والخروج احيانا على القناعة وتحمل المشاق والتغلب على الصعاب، لتستمر المقاومة..

ومن خصوصياته التأسي بالامير عليه السلام في التحنن على الايتام والمساكين بعد ان تأسى به في العبادة والفداء، لترتسم صورة الانسان الكامل في

ابعادها وميادينها المختلفة، من العبادة في المحراب والزهادة في الدنيا، والفروسية في الميدان، والمحبة للناس والعطف عليهم في المجتمع، فتكفّل ابناء الشهيد صالح لان في ذلك تقرباً الى الله وقرباً من الشهيد، ورعاهم بين ابنائه وتكفلهم حتى باتوا يافعين، يذكرونه أباً لهم، يحن عليهم ويسأل عنهم ويتفقد احوالهم ويلبي حاجاتهم،وما زال في ذاكرتهم ان الشيخ قد عوّض عليهم فقدان الاب والام، بالتربية والكفالة من جهة الأبوّة والحنو والعطف من جهة الامومة..

اقتراب موسم الحصاد:

تصاعدت العمليات، وتعالت صرخات العدو، امهات الجند من الداخل والجند انفسهم من ساحة الميدان، وبدأت حالات الفرار من الخدمة، والتقاعس عن اداء الواجب في صفوف الجيش، وعلت الاصوات في الكيان الغاصب من السياسيين والعسكريين على حد سواء داعية للانسحاب العاجل من لبنان الذي استحال مصيدة لجنود العدو ولقادته..

حاول العدو ان يعيد لجيشه الهيبة ولقواته الوقار، ولجنوده وضباطه المعنويات التي خسروها على مدى سنين، وباءت كل المحاولات بالفشل من تصفية الحسابات التي صفّت مشروع رابين والتي فرضت عليه ان يعلن في

نهايتها بان حزب الله قد هزمنا، الى عناقيد الغضب التي انفرطت حباتها واستحالت حبات حنظل مرّه في حلقوم بيريز الخائب في كل مرة، وأخيراً كان قصف لمنشآت الكهرباء في بيروت والشمال وكانت النتيجة مماثلة مزيد من الفشل والخيبة والتقهقر.

والى جانب المحاولات العسكرية للعدو، كانت المحاولات السياسية لرعاته وعلى مدى جولات وصولات تبتغي تحقيق بعض المكاسب للاحتلال الذي استمر ما يقارب العشرين عاماً وها هو على مشارف الهزيمة والاندحار فلا بد من استعجال حل امني ليحفظ شيئاً من ماء الوجه لهذا الكيان القائم على القوة والارهاب، وكان مآل السياسة كما الحرب الفشل والانكسار، ولم يعد امام قادة العدو سوى الاذعان للامر الواقع والاستجابة لنداءات الجنود وأبائهم وامهاتهم ولصرخات الكثيرين من ابناء الكيان الذي لم يعتد الخسائر ولو كانت ضئيلة وقرر العدو الانسحاب من لبنان دون قيد او شرط ودون ضمانات او ترتيبات، وتحقق النصر العربي الحقيقي الاول على اسرائيل الذي حصل في ايار عام ٢٠٠٠م رافعاً رؤوس العرب عالياً معيداً للامة هيبتها وللجماهير حضورها وللعروبة امجادها، وهو نصر كبير كبر الهمم التي صنعته وعزيز عزة الجباه التي رفعت لواءه، انه النصر الذي يحمل اسماء الشهداء على لوحته الخالدة،

اولئك الذين فتحوا في جدار الامة كوة امل وفي آفاقها المسدودة مساحة تنفس، وها هم يشعون فيها الضوء الذي يزيل العتمة والادلهام.

انه النصر الذي شارك الشيخ في صنعه، وكاد ان يحتفل مع المحتفلين به الا انه حل عليه بابتسامة وحسرة، ابتسامة الظفر التي لم يخفها احد من المحبين ممن شاطروا المقاومة واحتضنوها حتى أثمرت واينعت عزاً وسؤدداً، وحسرة الخوف من عدم اللحاق بالشهداء والبقاء في هذا العالم حيث لا احد يعلم كم ستطول مدة الزمان حتى العودة من جديد الى العمليات والقتال..

بدأت تباشير النصر، والشيخ ينتظر ساعة الانقضاض على الفلول، وقف على مشارف بلدته من جهة حداثا، يراقب ساعة المسير الى الفتح بعيون تنبعث منها اشارات البهجة لقرب المنى، فها هي رشاف البلدة التي ضمته صغيراً، وعطفت عليه يافعاً، وغادرها مرغماً، تبعث اليه رسالة الشوق بالاحرف الاخيرة، فهي على موعدٍ مع التحرير وآخر مع ابنها البار حيث ستحتفي بالقادمين النصر والشيخ، والاحتفاء سيكون بالزغاريد والارز، على موكب التحرير وموكب التشييع فها هو النسر يحلّق في تخوم القرية، وسوف تحين لحظة الهبوط بعد هنيهات ليحط بسلام على الارض التي ضمّت رفات ابيه المظلوم ليرفع الظلم ويسمو الى عليائه بعد ان يتنفس الصعداء

ويطلق زفرات الارتياح عندما يحقق الحلم الذي آخاه منذ الصغر وصاحبه حتى نهاية العمر..

بلوغ المنى

حل فجر الواجد والعشرين من ايار على وقع الدبابات المندحرة والآليات المنسحبة والكتائب التي تجر أذيال الخيبة والجنود يلملمون المتاع الضروري ويسرعون لمبادرة الرحيل قبل ان يباغتهم المجاهدون بصلية او طلقات او قذائف فيصابون بعد ان شارفوا على النجاة ويقتلون بعد ان احسوا بدنو الامن والسلامة، فعجّلوا الفرار بتجميع الاغراض ودخول المركبات الآلية مقدمة للانسحاب وما اصعبها لحظة ان يوعز الضابط لاحد الجنود بالخروج لاحضار اغراض منسية، وبسبب هذه العجلة في الانسحاب تُركت المواقع وفيها الكثير من الاسلحة الثقيلة والعتاد الصالح للاستخدام وبعض الدبابات وناقلات الجند، ولعل ذلك حصل لسببين احدهما العجلة والآخر خذلان العملاء لاسيادهم حيث امروهم بان يثبتوا في مواقعهم ويغطوا لهم الانسحاب ويمنعوا المقاومين من الاقتراب لضرب المواكب المنسحبة لكن العملاء هربوا قبل اسيادهم وسلموا انفسهم قبل اخلاء المواقع، مما زاد في موقف الخائبين المندحرين حراجة وصعوبة..

ولم يترك المجاهدون العدو لينسحب دون ازعاج او

ليأخذ راحته في التقهقر فباغتوه في مواقعه التي كادت تُخلى من الجنود، وفي خطوط الانسحاب انقضّوا على قوافله الهاربة، واوقعوا في المنسحبين الخسائر ولم يتوقف المنسحبون او يعودوا ادراجهم ليواجهوا المقاومة او ليردوا على مواقع النيران بل اكملوا طريقهم نحو الهزيمة والضعة، وتولت الطائرات الحربية والمدفعية البعيدة المدى تغطي الانسحاب طالما العملاء قد فروا فرار العبيد فبين من سلّم نفسه او انسحب مع أسياده، وبين من تخفّى في قريته منتظراً مصيره..

كان الشيخ أحمد من المجاهدين الذين زحفوا لالحاق اكبر قدر من الخسائر بالعدو ولم يذهبوا للملمة الغنائم، وهذه المرة كان موعد الشيخ مع الجهاد على مقربة من بلدته، حيث هاجم عند تخومها آلية منسحبة فدمرها وأحرقها، ثم ما لبث ان توجه نحو موقع البلدة ليحرره فباغته الأعداء من الخلف واطلقوا قذيفة سقطت على مقربة منه أصابت عدة محال من جسده المبارك، فهوى إلى الأرض ولسان حاله فزت ورب الكعبة فها هي عروسه التي حلم بالوصول اليها منذ نعومة أظافره قد بلغها هنا على مقربة من مسقط رأسه بعد ان انتقم لأبيه ولاهل بلدته ولمنطقته وللجنوب والوطن وسقط شهيداً في المكان الذي كان يطير بين شجيراته صغيراً، يداعب الورد والأعشاب، والأحجار والطحالب،

طير غرّد كالعصافير في تلك المفاوز وها هو عاد الى قريته، وهبط فيها لكن هذه المرة كالنسر في ساحاتها وارجائها وها هم أهل قريته يقولون عاد أحمد الى القرية بعد أن **غدا نسراً وسما..**

الى جانب الصخرة في الناحية الجنوبية للقرية، تحت الصنوبرة العتيقة، التي عطّل نموّها البعد عن أيدي السقاة وعبث الذئاب واقتطاع غصونها من قبل الثعالب ليحيلوها مادة دفءٍ لهم، تحت هذه الشجرة ارتفع الشيخ شهيداً، مدد رجليه ويديه ونام لأول مرة نومة عميقة، لا يزعجه فيها أي مزعج ولا يعكّر صفو أحلامه أي عابث او لاهٍ، الدماء تنزف نحو التراب لينبت هناك امل يقرّب المسافة الى فلسطين ولتطلع شجرة تمتد غصونها والأوراق باتجاه الحدود الجنوبية تحضن المجاهدين، ولتنمو الاعشاب والطحالب المنبثة هنا وهناك وتأخذ تيجانها وازهارها والبراعم لوناً يميل الى الاحمرار لتشهد كلها على ان مادة حياتها دم الشيخ الذي روى ارض الجنوب فتحررت وسقى تربة قريته فانعتقت من القيد، دمٌ اريجه يفوح حتى القدس، وعبقه يتسامى الى سماء فلسطين.

هبط النسر الى جانب الصخرة تحت الصنوبرة البرية، ومن ذلك المكان اعلن ان فعل الدم الذي حرر الجنوب هو نفسه قادر على ان يحرر فلسطين.. ولو بعد حين..